النص الكامل

مغامرات

شيرلوك هولمز

٢٢

تأليف:
آرثر كونان دويل

مغامرة المُترجِم اليوناني



الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publisher

بالرسومات الأصلية



بسم الله الرحمن الرحيم



ذكريات

شيرلوك هولمز

(١٠)

مغامرة المترجم اليوناني

نُشرت للمرة الأولى في صحيفة «ستراند» الشهرية
في عدد أيلول (سبتمبر) ١٨٩٣

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سالي أحمد حمدي
تحرير: رمزي رامز حسّون

الأجيَال
للترجمة والنشر

الطبعة الأولى
٢٠٠٧

العنوان الإلكتروني للناشر
info@al-ajyal.com

موقعنا على الإنترنت
www.al-ajyal.com



آرثر كونان دويل

وُلد آرثر كونان دويل لأسرة متوسطة الحال في إدنبرة في إسكتلندا في الثاني والعشرين من أيار (مايو) عام ١٨٥٩، والتحق بكلية الطب فيها وعمره سبعة عشر عاماً. وكان من مدرّسيه في الكلية الجرّاحُ الشهير الدكتور جوزيف بِلْ، وهو الذي أوحى إليه بشخصية شيرلوك هولمز التي ابتكرها بعد ذلك.

في عام ١٨٨٢ حصل دويل على شهادة الطب من جامعة إدنبرة، وكان يحلم بأن يصبح جرّاحاً وخبيراً في التشخيص مثل الدكتور بل، ولكن قلة المال اضطرته إلى العمل طبيباً على سفينة لصيد الحيتان.

بعد ذلك مارس مهنته في منزل صغير استأجره في بعض ضواحي بورتْسماوث، ولكن عدد المرضى كان قليلاً فاتجه إلى الكتابة أملاً في الحصول على بعض الدخل الإضافي. وقد كتب بعضاً من قصص المغامرات لمجلاّت الفتيان، ولكن أجره عنها كان ضئيلاً، وفشلت روايته الأولى في العثور على ناشر.

وفي غمرة إحساسه باليأس فكّر في أساليب الدكتور بل في التشخيص وقرر أن يستخدمها في قصة يكون بطلها واحداً من رجال التحري؛ وهكذا وُلد شيرلوك هولمز في رواية «دراسة قرمزية» التي نشرها دويل سنة ١٨٨٧.

لقد ابتكر دويل شخصية تفيض بالحياة، حتى إن الجماهير رفضت أن تصدق أنها شخصية خيالية! وكان المؤلف يتلقى بانتظام خطابات موجَّهة إلى هولمز تطلب مساعدته في حل قضايا حقيقية، وبعض هذه القضايا أدى إلى كشف قدرة دويل نفسه.

كانت إحدى هذه الحوادث تتعلق برجل سحب كل أمواله من البنك وحجز غرفة في أحد فنادق لندن، ثم حضر حفلاً عاد بعده إلى فندقه حيث أبدل ملابسه ثم اختفى. وعجز رجال الشرطة عن اكتشاف مكانه، وخشيت أسرته أن يكون قد أصيب بسوء، لكن دويل حلّ المشكلة سريعاً إذ قال: "سوف تجدون رجلكم في

غلاسكو أو إدنبرة، وقد ذهب هناك بمحض إرادته. إن سحب كل أمواله من البنك يشير إلى الهروب المتعمَّد، والحفل الذي كان فيه ينتهي في الساعة الحادية عشرة، ولمّا كان قد أبدل ملابسه بعد عودته فلا بدّ أنه كان ينوي القيام برحلة، والقطارات السريعة المتجهة إلى إسكتلندا تغادر محطة كينغز كروس عند منتصف الليل". وقد عُثر على الرجل في إدنبرة فعلاً!

كان آرثر كونان دويل رياضياً متعدد المواهب، فقد مارس الملاكمة وكرة القدم والبولينغ والكريكت، وكان خطيباً مفوَّهاً ومحاضراً ناجحاً ومحاوراً بارعاً، وقد ذاعت آراؤه وأفكاره المتنوعة في الطب والعلم والأدب والسياسة والاجتماع.



وفي عام ١٩٠٠ تطوّع الدكتور دويل في حرب البُويِر (في جنوب إفريقيا) وصار كبيراً للجرّاحين في واحد من المستشفيات الميدانية، وفي نهاية الحرب مُنح وسام الفروسية ولقب «سير» تقديراً لخدماته. وقد أصدر بعد عودته

إلى إنكلترا كتاباً مهماً عن هذه الحرب.

وتوفي السير آرثر كونان دويل في السابع من تموز (يوليو) عام ١٩٣٠ بعد أن بلغ الحادية والسبعين، بعد ثلاث سنوات من كتابة آخر قصصه عن شيرلوك هولمز وبعد مرور أكثر من أربعين عاماً على أول ظهور علني لهذه الشخصية الخارقة.

❊ ❊ ❊



شيرلوك هولمز وعالَمه

ربما كان شيرلوك هولمز أشهرَ الشخصيات الخيالية في التاريخ، بل إنه يكاد يفوق في شهرته كثيراً من مشاهير العالم الحقيقيين. وقد بلغ من شهرة هذه الشخصية أنها فاقت شهرةَ مبتكرها، آرثر كونان دويل.

استوحى دويل شخصية هولمز وصفاته من الدكتور جوزيف بِلْ الذي درّسه في كلية الطب. كان الدكتور بِلْ يتمتع بموهبة عظيمة في الملاحظة وأسلوب التفكير المنطقي، وكان يثير اهتمام تلاميذه بقدراته الاستنتاجية الفذة، فهو لم يكن ماهراً فقط في التعرف على علل المرضى، بل وفي معرفة شخصياتهم ومِهَنهم وتفصيلات خفية عنهم أيضاً. كان يقول لأحد المرضى مثلاً: "أنت ضابط سُرِّح من الجيش حديثاً، وقد عدتَ لتوّك من بربادوس، وأنت تعاني من داء الفيل". وبعد أن تسيطر الدهشة على المريض والطلبة

على السواء يشرح الدكتور بل الأمر قائلاً إن الرجل يبدو جندياً من هيئته، وعدم خلع قبعته عند دخوله الغرفة يدل على أنه ترك الخدمة حديثاً، وهو يملك مظاهر السلطة كتلك التي توجد لدى الضباط، وتدل بشرته التي لوّحتها الشمس والمرض الذي يشكو منه على أنه جاء من منطقة استوائية، وقد جاء من بربادوس لأن هذا المرض بالذات منتشر هناك!

«وُلد» شيرلوك هولمز -في عالَمه الخيالي- سنة ١٨٥٤ وحصل على شهادة جامعية لم يحدّدها دويل، ثم احترف مهنة «محقق خاص» منذ نحو سنة ١٨٧٨،



وكان يقيم في شارع بيكر في العاصمة البريطانية لندن، ورقم البيت الذي يقيم فيه هو «٢٢١ب». وقد لا نبالغ إذا قلنا إن هذا العنوان (٢٢١ب شارع بيكر) هو أشهر عنوان في العصر الحديث! وقد برع هولمز في كشف الجرائم وحل الألغاز الغامضة بفضل دقة ملاحظته وقدرته العظيمة على الاستنتاج والتحليل المنطقي، بالإضافة إلى غزارة معلوماته واطّلاعه الواسع على العلوم المختلفة.

أما الدكتور واطسون، صديق هولمز ومساعده الذي يرافقه في قصصه كلها، فلا يكاد يقل شهرة عن هولمز نفسه، وهو رَاوِية القصص الذي يقصّها علينا (كما فعل بعد ذلك هيستنغز في كثير من مغامرات بوارو). وهو طبيب وُلد نحو سنة ١٨٥٢ وتخرج طبيباً سنة ١٨٧٨، ثم انضم إلى الجيش سنة ١٨٨٠ وأمضى مدة خدمته في أفغانستان مع الجيش البريطاني، ثم عاد إلى بلده وتقاعد من الجيش بعدما أصيب في إحدى المعارك، وعندها تعرف إلى شيرلوك هولمز في مختبر الكيمياء بمستشفى ستامفورد في أوائل سنة ١٨٨١، ولم يفترق الصديقان بعد ذلك قط. وقد تزوج الدكتور واطسون في أواخر سنة ١٨٨٦، لكن دويل لم يشأ أن يعرّفنا إلى زوجته ولم يذكر لنا اسمها.

في قصة «المشكلة الأخيرة» التي نُشرت في نهاية

عام ١٨٩٣ «قتل» دويل بطله شيرلوك هولمز، لكنه واجه احتجاجاً عارماً من جماهير القراء فقرر إعادة إحياء هذه الشخصية الخيالية من جديد، فعاد هولمز إلى الظهور مرة أخرى في أواخر عام ١٩٠٣ ليستأنف حل القضايا الغامضة.

❋ ❋ ❋



قصص شيرلوك هولمز

أول قصة نشرها دويل كانت في عام ١٨٧٩، وهي قصة قصيرة عنوانها «إفادة السيد جِفْسون»، أما أول رواية نشرها من بطولة شيرلوك هولمز فكانت «دراسة قرمزية»، وقد صدرت في بريطانيا عام ١٨٨٧ فلم يَكَد يُحِسّ بها أحد، لكنها حققت نجاحاً معتدلاً في الولايات المتحدة. وبعدها نشر رواية طويلة ثانية من بطولة شيرلوك هولمز، وهي رواية «علامة الأربعة» التي نُشرت عام ١٨٩٠ فوطّدت شخصيةَ هولمز في بريطانيا وأمريكا على السواء.

وفي السنة التالية (١٨٩١) بدأ نشر مجموعة «مغامرات شيرلوك هولمز» في حلقات شهرية في مجلة «ستراند»، بدءاً بقصة «فضيحة في بوهيميا» التي ظهرت في عدد تموز (يوليو)، فقوبلت هذه القصص بنجاح كبير غير مسبوق في تاريخ الصحافة البريطانية، ودخلت هذه الشخصية الخيالية التاريخَ من بابه الواسع، حيث صارت حديثَ المجتمع وشغلَ الناس في أنحاء البلاد.

وقد بلغ عدد قصص هذه السلسلة اثنتَي عشرة نُشر آخرها في عدد حزيران (يونيو) من عام ١٨٩٢. ثم ظهرت سلسلة «ذكريات شيرلوك هولمز» التي نُشرت في اثنتَي عشرة حلقة أيضاً صدر أولها في كانون الأول (ديسمبر) ١٨٩٢، ويبدو أن دويل بدأ يملّ عندئذ من كتابة قصص شيرلوك هولمز، ولذلك «قتله» في آخر قصة من هذه المجموعة في معركة مع البروفسور موريارتي الشرّير عند شلالات رايشِنْباخ في سويسرا! وقد نُشرت هذه القصة (وعنوانها «المشكلة الأخيرة») في كانون الأول (ديسمبر) عام ١٨٩٣.

وثار جمهور دويل غضباً وانهالت عليه ألوف الخطابات تستنكر عمله وخسرت المجلة عشرين ألف اشتراك، ولكن دويل تمسّك بموقفه، فقد شعر بأن شيرلوك هولمز يحول بينه وبين أعمال أكثر أهمية. ثم وافق أخيراً بسبب الإلحاح الذي لم ينقطع على «بعث» شيرلوك هولمز، فأعاده إلى العمل في قصة «مغامرة المنزل الخالي» التي نُشرت في مجلة «ستراند» في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٠٣.

وعاد شيرلوك هولمز إلى الأضواء من جديد؛ فقد تبيّن أنه لم يُقتَل على الإطلاق، وفي تلك القصة (المنزل الخالي) شرح دويل كيف نجا هولمز من الموت بأعجوبة، ثم شقّ طريقه بعد ذلك إلى بلاد

التبّت لمساعدة اللاما الكبير، ثم عاد إلى لندن ليحقق في وفاة ابن أحد اللوردات بطريقة غامضة. وقد أثارت عودة شيرلوك هولمز في مجلة «ستراند» في بريطانيا ومجلة «كوليِرْز» في أمريكا حماسة بالغة في نفوس عشّاقه المخلَصين وحققت للمجلتين مبيعات غير مسبوقة. واستمر نشر سلسلة «عودة شيرلوك هولمز» (التي بلغ عدد حلقاتها ثلاث عشرة حلقة) حتى كانون الأول (ديسمبر) ١٩٠٤.

وكان دويل قد نشر قبل هذه السلسلة روايةَ شيرلوك هولمز الطويلة الثالثة «كلب عائلة باسكرفيل»، وقد استمر نشر حلقاتها من آب (أغسطس) ١٩٠١ إلى نيسان (أبريل) ١٩٠٢، وهي أشهر روايات شيرلوك هولمز على الإطلاق.

وبعدها صدرت سلسلة «الظهور الأخير» التي تضم سبع قصص نُشرت على حلقات متباعدة بين أيلول (سبتمبر) ١٩٠٨ وكانون الأول (ديسمبر) ١٩١٣، ثم الرواية الطويلة الرابعة «وادي الرعب» (٩/١٩١٤-٥/١٩١٥)، وهي أعظم روايات شيرلوك هولمز كما يقول النقّاد. وأخيراً سلسلة «قضايا شيرلوك هولمز» (١٠/١٩٢١-٤/١٩٢٧) التي نُشرت آخر حلقاتها بعد أربعين سنة تماماً من صدور أولى روايات شيرلوك هولمز.

ولم تقتصر مؤلفات آرثر كونان دويل على قصص وروايات شيرلوك هولمز، فقد ألّف كتباً كثيرة غيرها، منها روايات تاريخية وورومنسية ومسرحيات، بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والدراسات الغير الروائية.

والحقيقة أنه كان كاتباً غزير الإنتاج، فقد بلغ ما تركه من المؤلفات نحو مئة وستين، منها ستّون من قصص وروايات شيرلوك هولمز، وخمس روايات من بطولة شخصية خيالية أخرى ابتكرها هي شخصية عالِم اسمه البروفيسور تشالنجر، وأشهر هذه الروايات هي «العالَم المفقود»، ونحو أربعين رواية من الروايات المتنوعة، بالإضافة إلى عشر مسرحيات، وأربعة دواوين شعرية، وأكثر من خمسين كتاباً وكتيّباً في الشؤون الاجتماعية والسياسية والعسكرية، وكتاب ذكرياته الجميل الذي سمّاه «ذكريات ومغامرات».

* * *



رسّام شيرلوك هولمز الأشهر

تعاقب على رسم شخصية شيرلوك هولمز عددٌ من الرسّامين، لكن أشهرهم وأعظمهم -بلا خلاف- كان الرسام الإنكليزي سدني باجيت الذي صاحَبَ روايات هولمز وقصصَه منذ ولادتها المبكرة، وهو الذي بَلْوَر صورة شيرلوك هولمز وطبَعَها في عيون القراء على مدار السنين.

والغريب أن المجلة لم تسعَ ابتداءً خلف سدني باجيت بل خلف أخيه الأكبر ولتر الذي كان قد نجح في رسم رسومات قصّتَي «جزيرة الكنز» و«روبنسون كروزو»، لكن خطأ في الاتصالات تسبب في دعوة سدني، الأخ الأصغر، لرسم صور القصص الستّ

الأولى التي نشرتها مجلة «ستراند» في النصف الثاني من عام ١٨٩١، وعلى إثر النجاح الهائل الذي لقيَته هذه القصص مع رسوماتها التصق سدني باجيت بآرثر كونان دويل لتصبح رسومات هذا بنفس أهمية كتابة ذاك في عالم شيرلوك هولمز. وقد استمر سدني باجيت برسم الصور لقصص وروايات شيرلوك هولمز حتى وفاته عام ١٩٠٨، وبلغ عدد ما رسمه خلال هذه السنوات ٣٥٧ رسماً زيّنت ٣٨ قصة.

وحين توفي سدني استعانت مجلة «ستراند» برسّامين آخرين، فشارك في رسم السلسة الجديدة «الظهور الأخير» كل من ولتر باجيت، الأخ الأكبر لسدني، وآرثر تويدل وجلبرت هاليدي وأليك بول وجوزف سمبسون. أما السلسلة الأخيرة -وهي «قضايا شيرلوك هولمز»- فقد رسمها ثلاثة من الرسامين هم أ. جلبرت وهاوارد إلكوك وفرانك وايلز.

هذا في نسخة هولمز البريطانية التي نشرتها مجلة «ستراند»، أما في أمريكا فقد استعانت مجلة «كوليِرْز» بعدد من الرسامين أشهرهم فردريك دورْ ستيل، ومنهم و هـ هايد وجوزف فريدرتش ورتشارد غوتشمت.

* * *

مغامرة المترجم اليوناني

خلال مدة معرفتي الطويلة الوطيدة بشيرلوك هولمز لم أسمعه قط يشير إلى علاقاته أو إلى بداية حياته، وقد زاد هذا التكتّم من الانطباع غير الإنساني الذي تولّد في نفسي تجاهه حتى وجدت نفسي أنظر إليه كظاهرة متفرّدة، كعقل دون قلب، ذلك لأن تفوُّقه العقلي وذكاءه الخارق كان يكافئ عجزَه عن إظهار أي تعاطف إنساني. لقد كان ذا شخصية باردة المشاعر اتفق أن اجتمع لها النفور من النساء مع العزوف عن عقد الصداقات. ولم يكن ذلك كله ليعدل كتمانَه أيّ معلومات عن أهله وخاصة عشيرته، حتى بتُّ أعتقد أنه يتيم بلا أقارب... إلى أن أصابني بدهشة شديدة ذات يوم حين بدأ يتكلم عن أخيه!

كان ذلك بعد تناول الشاي في مساء أحد أيام الصيف حين دار الحوار بيننا في موضوعات مختلفة، فانتقلنا من الحديث عن نوادي الغولف إلى مَيْل دائرة البروج، ثم تطرّق الحديث أخيراً إلى أثر الوراثة في تكوين الصفات والمَلَكات، وكانت النقطة

التي رحنا نناقشها هي القَدْر الذي تساهم به الوراثة في تشكيل المواهب الفردية العظيمة التي نملكها والقدر الذي تساهم به الخبرة المبكّرة في الحياة.

قلت: بالنسبة إليك يبدو من الواضح -بعد كل ما أخبرتني به- أن الفضل في قدراتك في الملاحظة ووسائلك الغريبة في الاستنتاج يعود إلى تدرّبك المنظم وجهدك الشخصي.

أجاب بعد تفكير عميق قائلاً: إلى حد ما، فقد كان أجدادي من كبار مُلاّك الأرض في الريف، ويبدو أنهم عاشوا حياة طبيعية بالنسبة إلى طبقتهم الاجتماعية، ولكن ربما حملوا في دمائهم عاملاً ورثته عنهم لأصبح ما أنا عليه الآن؛ ويمكن أن أكون قد ورثت ذلك عن جدّتي التي كانت أخت فيرنيه الفنّان الفرنسي، والفنّ قد يجري في العروق ليأخذ أشكالاً غريبة.

- ولكن كيف عرفت أن الأمر وراثي؟

- لأن أخي مايكروفت يملك هذه الموهبة بدرجة أكبر مني.

كانت تلك أخباراً جديدة بالنسبة إليّ، فلو

كان في إنكلترا رجل آخر يملك مثل هذه القدرات الرائعة فكيف لم يسمع به الناس؟! طرحت السؤال وأنا ألمّح إلى أن تواضع رفيقي هو الذي جعله يُقرّ بأن أخاه يفوقه، وعندها سخر هولمز من تلميحي وقال: يا عزيزي واطسون، أنا لا أتفق مع الناس الذين يعتبرون التواضع من الفضائل، فالمفكر الحقيقي يجب أن يرى حقيقة كل الأشياء كما هي، وتقليل المرء من قيمته يبعده عن الحقيقة بنفس القدر الذي تبعده به المبالغة في قدراته، ولذلك فعندما أقول إن قدرات مايكروفت في الملاحظة أفضل من قدراتي فيجب أن تعرف بأنني أقول الحقيقة المطابقة للواقع تماماً.

- هل هو أصغر منك؟

- بل أكبر مني بسبعة أعوام.

- ولماذا هو غير مشهور إذن؟

- بل هو مشهور جداً ضمن محيطه وبيئته.

- أين مثلاً؟

- حسناً، في نادي ديوجينز على سبيل المثال.

لم أسمع بهذا النادي من قبل، ولا بدّ أن

ذلك قد ظهر في وجهي، فقد سحب هولمز ساعته فنظر إليها ثم قال: إن نادي ديوجينز من أكثر الأندية غرابة، وأخي يوجد هناك دائماً بين الساعة الخامسة إلا ربعاً والساعة الثامنة إلا ثلثاً. إنها السادسة الآن، فإذا أردت أن تتمشى في هذا المساء الجميل فيسعدني أن أعرّفك إلى تحفتين غريبتين.



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

بعد خمس دقائق كنا في الشارع متجهَين إلى ميدان ريجنت. قال رفيقي: أنت تتساءل لماذا لم يستخدم مايكروفت قدراته في العمل مخبراً سرّياً. حسناً، إنه لا يقدر على ذلك.

- ولكني ظننت أنك قلت...

- قلت إنه يفوقني في قوة الملاحظة والاستنتاج المنطقي، فلو كان عمل التحقيق يبدأ وينتهي من فوق كرسيّ مريح لكان أخي أعظم محقق على الإطلاق، ولكنه لا يملك الطموح ولا الطاقة؛ فهو لن يبذل أي جهد ليُثبت نتيجة تفكيره والحل الذي يتوصل إليه، بل إنه يفضّل أن يعتبروه مخطئاً على أن يتكبّد مشقة إثبات صحّة رأيه! لقد أخذتُ إليه مشكلة بعد أخرى وتلقّيت منه التفسيرات التي ثبتت صحّتها فيما بعد، وبالرغم من ذلك فهو غير قادر على بذل مجهود في النقاط العملية التي يجب التحقّق منها قبل أن توضَع القضية أمام القضاء.

- إنها ليست مهنته إذن؟

- بالطبع؛ فالذي أعتبره أنا وسيلة للعيش يمثّل بالنسبة إليه مجرّد هواية لفنّان. مايكروفت له قدرة استثنائية مع الأرقام، ولذلك فهو يدقق في حسابات

إحدى الإدارات الحكومية، وهو يسكن في شارع بول مول، وهكذا فهو يمشي حول الركن كل صباح حتى يدخل شارع وايتهول ثم يعود كل مساء إلى مسكنه، ومن عام إلى آخر فهذا هو التمرين الوحيد الذي يقوم به، ولا يراه أحد إلا في نادي ديوجينز الذي يقابل سكنه.

- لا أستطيع تذكّر هذا الاسم.

- الاحتمال الأكبر أن لا تعرفه. إن بعض الناس لا يرغبون في صحبة الآخرين كما تعلم، إما بسبب الخجل أو بسبب بُغض الاختلاط والخوف من الناس، ولكنهم مع ذلك يحبون المقاعد المريحة وقراءة المجلات. وقد أنشئ نادي ديوجينز لتوفير الراحة لهؤلاء، وهو يضمّ الآن أقل رجال المدينة اجتماعية وحبّاً للاختلاط، وليس مسموحاً لأي من أعضائه بإبداء أدنى اهتمام بالأعضاء الآخرين، وغير مسموح بالكلام على الإطلاق إلا في غرفة الغرباء، فإذا ارتكب أحد الأعضاء ثلاث مخالفات وانتبهت الإدارة إلى أخطائه يكون المخالف عرضة للطرد. إن أخي هو أحد مؤسّسي هذا النادي، أما أنا فقد وجدت جوّه مهدّئاً للأعصاب.

وصلنا إلى شارع بول مول في أثناء كلامنا، وحين اقتربنا من النادي توقّف هولمز وحذّرني من الكلام. دخلنا بعد ذلك إلى صالة النادي، ومن خلال لوح الباب الزجاجي لمحت غرفة أنيقة واسعة يجلس فيها عدد من الرجال ويقرؤون الصحف، كل واحد في زاويته الصغيرة الخاصّة.

قادني هولمز إلى غرفة صغيرة تطلّ على شارع بول مول، وبعد ذلك تركني قليلاً ثم عاد ومعه رفيق عرفت أنه لا يمكن أن يكون إلا أخاه. كان مايكروفت هولمز أكثر ضخامة وقوة من شيرلوك؛ كان جسمه بالغ الضخامة، أما وجهه العريض فقد احتفظ بشيء من حدّة الملامح التي تميّز وجه أخيه، وكان لون عينيه رمادياً فاتحاً بدرجة غريبة ولهما نظرة عميقة ذاهلة ألاحظها فقط في عيني شيرلوك حين يبدأ في استخدام قواه الكاملة.

قال وهو يمدّ إليّ يده العريضة: أنا سعيد برؤيتك يا دكتور، فقد أصبح شيرلوك مشهوراً منذ بدأتَ بكتابة قصص مغامراته. حسناً، لقد توقّعت رؤيتك في الأسبوع الماضي يا شيرلوك لتستشيرني في قضية بيت مالك العزبة، فقد ظننت أن الأمر أكبر من قدراتك قليلاً.

قال صديقي بابتسامة: لا، لقد حللته.

- كان آدمز بالطبع.

- أجل، لقد كان آدمز.



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

- لقد كنت واثقاً من ذلك منذ البداية.

جلس الاثنان معاً تحت مشربية النادي المقوَّسة وقال مايكروفت: هذه هي البقعة المناسبة لدراسة الجنس البشري. انظر إلى هذه النماذج الرائعة من البشر... انظر إلى هذين الرجلين القادمين باتجاهنا على سبيل المثال.

- أتقصد الرجل الذي يسجّل نقاط الفوز في لعبة البليباردو ومن معه.

- تماماً، ماذا تعتقد الآخر؟

توقّف الرجلان عند النافذة، وكانت بعض آثار الجير العالقة على جيب معطف أحدهما هي علامة البليباردو الوحيدة التي استطعت رؤيتها، أما الآخر فكان رجلاً ضئيلاً داكن البشرة يرجع قبّعته إلى الخلف ويحمل عدّة رزم تحت ذراعه.

قال شيرلوك: إنه جندي قديم كما ألاحظ.

أضاف أخوه قائلاً: وقد سُرِّح حديثاً جداً.

- أرى أنه قد خدم في الهند.

- وهو من ضباط الصف.

قال هولمز: أتخيّل أنه من المدفعية الملكية.

- وهو أرمل.

- ولكن عنده طفلاً.

- بل أطفالاً يا ولدي العزيز... أطفالاً.

قلت ضاحكاً: على رسلكما، هذا مبالَغ فيه قليلاً!

أجابني هولمز: بالتأكيد ليس صعباً استنتاج أن رجلاً بهذه القامة وتعبير السلطة على وجهه وبشرته التي سفعتها الشمس هو جندي ذو رتبة وأنه قد جاء من الهند منذ وقت قريب.

أضاف مايكروفت قائلاً: وقد عرفت أنه لم يترك الخدمة إلا من وقت قريب لأنه ما زال يرتدي الحذاء العسكري.

قال شيرلوك: ليست عنده خطوة الفرسان الواسعة، وبالرغم من ذلك فهو يرتدي قبّعته على جانب واحد، وهذا يظهر من المنطقة الفاتحة اللون على ذلك الجانب من حاجبه، كما أن وزنه لا يسمح بأن يكون مهندساً عسكرياً، فهو في المدفعية إذن.

أضاف مايكروفت: بعد ذلك يُظهِر حِداده

الكامل أنه فقَدَ شخصاً عزيزاً عليه، ويدل قيامه بالتسوّق وحده على أنها زوجته، وقد كان يشتري أشياء للأطفال كما تلاحظ، ومن بين هذه الأشياء لعبة لطفل صغير جداً، فمن المحتمَل أن الزوجة قد ماتت في أثناء الولادة، كما أنه قد اشترى أيضاً كتاب صور للأطفال مما يُظهِر وجود طفل آخر يفكّر به.

بدأت أفهم ما عناه صديقي عندما قال إن قدرات أخيه الاستنتاجية تفوق قدراته. نظر شيرلوك هولمز إليّ وابتسم، أما مايكروفت فقد قال: بالمناسبة يا شيرلوك، عندي شيء سيعجبك، مشكلة شديدة الندرة عُرضت عليّ لإبداء الرأي فيها، ولكنني لا أملك القوة لمتابعتها إلا بطريقة غير مكتملة، ولكنها أعطتني أساساً لبعض التخمين المرضي، فإذا كان يهمّك سماع الحقائق...

- هذا يسعدني يا عزيزي مايكروفت.

كتب الأخ ملحوظة على صفحة من مفكرته، ثم دقّ الجرسَ ليعطي الورقة للنادل وقال: لقد طلبت من السيد ميلاس أن ينضمّ إلينا. إنه يسكن فوق الطابق الذي أسكن فيه وتجمعني به معرفة بسيطة،

مما جعله يلجأ إليّ لأساعده في أمر يحيّره. السيد ميلاس من أصل يوناني كما فهمت، وهو عالم باللغات ويكسب جزءاً من معيشته من عمله مترجِماً في المحاكم القضائية، والجزء الآخر يكسبه بعمله مرشداً لبعضِ العائلات الثرية التي تقيم في فنادق طريق نورثمبرلاند. سوف أتركه ليروي لكم قصته بنفسه.

انضمّ إلينا بعد عدة دقائق رجل قصير بدين يظهر أصله الجنوبي من لون وجهه الأسمر وشعره الداكن، بالرغم من أن حديثه يدل على رجل إنكليزي مثقف. صافح شيرلوك هولمز بحرارة، ولمعت عيناه بسرور حين عرف أنه متشوق إلى سماع قصته.

كانت نبرة الشكوى واضحة في صوته وهو يقول: لا أظنّ أن الشرطة يمكن أن يصدّقوا كلامي، لا أظن، لأنهم لم يسمعوا بشيء مماثل من قبل. يعتقدون أن مثل هذا الشيء لا يمكن أن يحدث، ولكنني أعرف أنني لن أطمئنّ بالاً إلا إذا عرفتُ مصير ذلك الرجل المسكين ذي الشريط اللاصق على وجهه.

قال شيرلوك هولمز: أنا منتبه تماماً.

قال السيد ميلاس: نحن الآن في مساء الأربعاء، حسناً إذن، فقد حدث الأمر في ليلة الإثنين؛ لقد حدث كل شيء منذ يومين فقط. لا بد أن جاري أخبركما أنني مترجم، وأنا أترجم نصوصاً من لغات كثيرة، ولكن لأنني يوناني المولد والاسم فقد ارتبطت على وجه الخصوص بتلك اللغة. أنا رئيس المترجمين اليونانيين في لندن واسمي معروف تماماً في الفنادق، ويحدث كثيراً أن أُستدعَى في أوقات غير مألوفة لمساعدة أجانب يتعرضون إلى صعوبات، أو بواسطة مسافر يرجو المساعدة، ولذلك لم أدهَش ليلة الإثنين الماضي عندما جاء السيد لاتيمر (وهو شاب يرتدي ثياباً أنيقة جداً) إلى مسكني وطلب مني مصاحبته في عربة أجرة كانت تنتظرنا عند الباب، فقد جاء صديق يوناني لزيارته في عمل كما قال، وحيث إن هذا الصديق لا يتحدث إلا اليونانية فقد تطلّب الأمر وجود مترجم، وقد أفهمني أن منزله بعيد في كنسنغتون، كما أنه بدا مستعجلاً جداً حتى إنه حثّني على الإسراع إلى داخل العربة حين نزلنا إلى الشارع.

في البداية ظننتها عربة أجرة كما قلت، لكنني أدركت سريعاً أنها عربة خاصّة، فقد بدت أوسع

من عربة الأجرة العادية ذات العجلات الأربع التي تسيء إلى صورة لندن، وبالرغم من أن الفرش مهترئ إلا أنه كان من نوعية فاخرة. جلس السيد لاتيمر مقابلي وانطلقنا باتجاه تقاطع تشيرنغ كروس ثم عبرنا شارع شافتزبري، وعندما وصلنا إلى شارع أكسفورد خاطرت بإلقاء بعض الملاحظات قائلاً إن ذلك الطريق لا يتجه إلى كنسنغتون مباشرة، ثم توقفت عن الكلام بسبب تصرُّف غريب من مُرافقي؛ فقد سحب من جيبه هِراوة مرعبة مطعَّمة بالرصاص وأخذ يلوّح بها إلى الأمام وإلى الخلف عدّة مرات كما لو كان يختبر وزنها وقوّتها، وبعد ذلك وضعها على المقعد المجاور له دون أن ينطق بكلمة! بعد أن فعل ذلك قام بإغلاق النوافذ على الجانبين، ولدهشتي وجدت أن النوافذ مغطّاة بورق لمنعي من الرؤية من خلالها.

قال: أنا آسف لحجب الرؤية عنك يا سيد ميلاس؛ في الحقيقة لا أريدك أن تعرف المكان الذي سنذهب إليه، فليس مما يوافقني أن تتمكن من الوصول إليه مرة أخرى.

أدهشني هذا الكلام دهشة عظيمة، فقد كان مرافقي شاباً قوياً عريض المنكبين، وحتى لو لم

يحمل معه ذلك السلاح فما كنت لأملك أدنى فرصة للفوز إذا تعاركت معه، فتمتمت قائلاً: هذا التصرّف غير عادي يا سيد لاتيمر، يجب أن تدرك أن ما تفعله غير قانوني على الإطلاق.

قال: في الأمر انتهاك لحريتك بلا شك، ولكننا سنعوّضك على أية حال يا سيد ميلاس. أما إذا



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

حاولت أن تستغيث أو أن تفعل أي شيء ضدّ إرادتي في أي وقت من هذه الليلة فسوف تعرّض نفسك إلى مشكلة خطيرة، وأرجو أن تتذكر أن أحداً لا يعرف مكانك، وأنك تحت سيطرتي سواء كنت في هذه العربة أو في منزلي.

كانت كلماته هادئة ولكن طريقته حملت الكثير من الوعيد، فجلست في صمت أفكّر في السبب الذي دعاه إلى اختطافي بهذه الطريقة الغريبة، وأياً كان السبب فقد بات واضحاً أن المقاومة ما كانت لتفيد وأنه لا يسعني سوى الانتظار لمعرفة ما سيحدث.

استمرّت الرحلة ساعتين من غير أن أتوصل إلى أدنى فكرة عن المكان الذي سنذهب إليه؛ فتارة أسمع خشخشة الحصى مما يدلّ على طريق غير ممهَّد، وأحياناً أخرى تنبئ طريقة سيرنا الهادئة الناعمة بطريق ممهَّد، وباستثناء هذه الأصوات المختلفة لم أستطع العثور على أي سبيل يساعدني في معرفة المكان الذي سنذهب إليه؛ فالورق الذي غطى النوافذ منع دخول الضوء، أما الزجاج الأمامي فقد غطته ستارة زرقاء.

كنا قد غادرنا شارع بول مول في الساعة

السابعة والربع وأشارت ساعتي إلى الساعة التاسعة إلا عشر دقائق حين توقّفنا أخيراً، فأنزل مرافقي النافذة فلمحت مدخلاً منخفضاً على شكل قوس يعلوه مصباح مضاء، وحين دُعيت إلى الإسراع في مغادرة العربة فُتح الباب ووجدت نفسي داخل المنزل، وقد أحسست بوجود أشجار ومرج عشبي على يميني ويساري حين دخلت.

كان في الداخل مصباح ملوَّن، وقد جُعل ضوءه خافتاً بحيث لم أستطع رؤية أي شيء سوى ملاحظة أن الصالة كانت واسعة إلى حد ما ومليئة بصور معلَّقة على الجدران، وقد استطعت في ذلك الضوء الخافت ملاحظة أن الرجل الذي فتح الباب كان رجلاً ضئيلاً متوسط العمر لئيم الطلعة قوي الجسم، وحين استدار ناحيتنا أظهرت لي ومضة الضوء أنه يرتدي نظارات.

قال: هل هذا هو السيد ميلاس؟ حسناً، لا نيّة لدينا في إيذائك يا سيد ميلاس كما أرجو، ولكن لا يمكننا الاستمرار دونك، فإذا ما تعاملت معنا بشكل جيد فلن تندم على ذلك، ولكن فليساعدك الله إذا حاولت خداعنا.

تحدّث بطريقة عصبية متشنّجة تخلّلتها

ضحكات قصيرة مجلجلة، فسألت: ماذا تريد مني؟

- نريدك فقط أن تسأل سيّداً يونانياً محترَماً يزورنا عدة أسئلة وتخبرنا بإجابته، ولكن دون أن تقول أكثر مما أطلب منك وإلا...

ثم عاد ليقهقه بطريقة عصبية مرة أخرى وأكمل قائلاً: ستتمنى أنك لم تولد قط!

فتح الباب وقاد الطريق وهو يتكلم إلى غرفة بدا أنها مفروشة بثراء، ولكن الضوء الوحيد الموجود كان مصباحاً خافتاً. كانت الغرفة كبيرة بالتأكيد، وعرفت حين غاصت قدماي في السجادة مدى فخامتها، كما لمحت مقاعد مخملية ورفاً أبيض رخامياً للمدفئة، بالإضافة إلى ما بدا أنه حُلّة من حلل الجيش الياباني في أحد جوانب الغرفة.

رأيت مقعداً تحت المصباح مباشرة، وطلب مني الرجل الأكبر سناً أن أجلس عليه في حين غادر الأصغر الغرفة، ولكنه لم يلبث أن عاد وهو يقود سيداً محترَماً يرتدي ما يشبه رداء النوم ويتجه نحونا ببطء، وحين اقترب إلى دائرة الضوء الخافت استطعت رؤيته بوضوح فارتعبت من مظهره؛ كان بالغ النحافة وذا عينين بارزتين لامعتين كأن قوة

روحه تفوق قوة جسده، وقد بدا شاحباً شحوب الموتى، ولكن ما صدمني حقاً أكثر من مظاهر ضعفه الجسدي هو أن جسده كان ملفوفاً بشريط لاصق على شكل متقاطع، وقطعة أخرى كبيرة ملصَقة على فمه!

صاح الرجل الأكبر سناً عندما سقط هذا الغريب



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

على مقعد: هل معك القائمة يا هارولد؟ وهل يداه طليقتان؟ إذن أعطِه القلم الآن. ستسأل الأسئلة يا سيد ميلاس وهو سيكتب الإجابة على الأوراق. اسأل: هل هو مستعد للتوقيع على الأوراق؟

توهّجت عينا الرجل ثم كتب على اللوح: أبداً.

سألته بطلب من خاطفنا: ولا حتى في أي ظرف؟

- فقط إذا زوَّجها قسٌّ يوناني أعرفه بحضوري شخصياً.

قهقه الرجل بطريقته الحقودة وقال: أتعرف ما ينتظرك إذن؟

- افعل بي ما تشاء فلن أهتم.

هذه عيّنة من الأسئلة والإجابات التي شكّلت محادثتنا الغريبة التي كان نصفها مكتوباً ونصفها الآخر منطوقاً، وكان عليّ مراراً وتكراراً أن أعيد سؤاله عمّا إذا كان سيستسلم ويوقّع الوثيقة، وفي كل مرة أتلقى نفس الردّ الغاضب. وفجأة خطرت لي فكرة موفَّقة فبدأت بإضافة جُمَل صغيرة في نهاية

كل سؤال. في أول الأمر بدأت بجمل بريئة لأعرف ما إذا كان الرجلان المرافقان لنا سينتابهما الشكّ في الأمر، وبعد ذلك حين وجدت أنهما لم يُظهِرا أي علامات على فهم ما يحدث بدأت بتنفيذ لعبة أخطر، فجرَت محادثتنا على الشكل التالي:

- لن يفيدك هذا العناد بشيء. من أنت؟

- لا يهمّني. أنا غريب عن لندن.

- سيكون مصيرك بين يديك. منذ متى وأنت هنا؟

- فليكُن. ثلاثة أسابيع.

- لن تكون الملكية لك أبداً. ما سبب مرضك؟

- لا يمكنني تركها للأوغاد. إنهم يقومون بتجويعي.

- سنحرّرك بعد أن توقّع. ما هذا المنزل؟

- لن أوقّع أبداً. لا أعرف.

- أنت بذلك لا تساعدها. ما اسمك؟

- دعني أسمع ذلك منها. كراتيدس.

- ستراها إذا وقّعت. من أين أنت؟

- لن أراها أبداً إذن. أثينا.

لو أمهلوني خمس دقائق أخرى يا سيد هولمز لكنت انتزعت القصّة كاملة بالحيلة، فلربما وضّح سؤالي التالي الأمرَ كله، ولكن في تلك اللحظة فُتح الباب ودخلت الغرفةَ امرأةٌ لم أستطع رؤيتها بوضوح كافٍ لأعرف أكثر من أنها طويلة رشيقة وتلتفّ برداء أبيض واسع. قالت بإنكليزية ذات لكنة ضعيفة: هارولد، لا أستطيع البقاء بعيداً وقتاً أطول، المكان موحش في الأعلى مع... يا إلهي، إنه بول!



رسم و هـ هايد ١٨٩٣ W. H. Hyde 1893

كانت هذه الكلمات الأخيرة باللغة اليونانية، وفي نفس اللحظة نزع الرجل الشريط اللاصق عن شفتيه بمجهود متشنج وصرخ قائلاً: صوفي، صوفي!

وأسرع مندفعاً بين ذراعَي المرأة، ولكن عناقهما استمرّ للحظة فقط حيث أمسك الرجل



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

الأصغر سناً بالمرأة ودفعها إلى خارج الغرفة في حين تغلّب الرجل الأكبر سناً على ضحيته الضعيفة بسهولة وسحبه بعيداً من الباب الآخر، وللحظة بقيت وحيداً في الغرفة فقفزت واقفاً تراودني فكرة مبهَمة بأنني قد أستطيع بطريقة ما الحصول على دليل عن هذا المنزل الذي وجدت نفسي فيه، ولحسن الحظّ لم أقم بأية خطوة، فحين نظرت إلى الأعلى وجدت الرجل الأكبر سناً يقف في مدخل الباب وهو يثبت نظراته عليّ. قال: هذا يكفي يا سيد ميلاس، وكما تلاحظ لقد ائتمنّاك على شيء غاية في الخصوصية، ولم نكن لنزعجك ولكن صديقنا الذي يتحدث اليونانية والذي بدأ هذه المفاوضات اضطُرّ إلى العودة إلى الشرق، ولذلك كان من الضروري أن نجد مَن يحل محله، وقد حالفنا الحظّ حين سمعنا عن قدراتك.

ثم اقترب مني وقال: هذه خمسة جنيهات، وأتمنى أن تكون أجراً مرضياً بالنسبة لك.

ثم دقّ على صدري بخفّة وأضاف وهو يقهقه: ولكن تذكّر، إذا تحدثت إلى أي شخص عن هذا الأمر، حتى لو كان شخصاً واحداً... حسناً، ليرحمك الله إذا فعلتها.

لا أستطيع أن أصف لكم مدى الرعب والمقت الذي أثاره هذا الرجل الضئيل في نفسي، فقد استطعت رؤيته الآن بشكل أفضل في ضوء المصباح. كانت ملامحه هزيلة شاحبة ولحيته المدبَّبة الصغيرة شعثاء مهمَلة، وقد دفع وجهه إلى الأمام وهو يتحدث فيما أخذت شفتاه وجفناه في الارتعاش باستمرار كشخص يعاني من داء الشلل الرعّاش، ولم أستطع منع نفسي من التفكير بأن ضحكته القصيرة اللافتة للنظر كانت أحد أعراض ذلك المرض العصبي، وقد كانت عيناه مصدر الرعب في وجهه؛ فهما رماديتان فولاذيتان تشعّان من الأعماق ببرود ووحشية وقسوة جامحة.

قال: سنعرف إذا تحدثت عن الأمر، فلنا وسائلنا الخاصة. والآن ستجد العربة في انتظارك وسيوصلك صديقي إلى طريقك.

أجبروني على الإسراع من الصالة حتى العربة حيث لمحت مرة أخرى الأشجار والحديقة، وتبعني السيد لاتيمر عن قرب ثم جلس في المقعد المقابل لي دون أن يتفوه بكلمة، وانطلقت العربة ثانية يغلّفها الصمت لمسافة طويلة والنوافذ مغطّاة، حتى توقفت العربة أخيراً بعد منتصف الليل مباشرة.

قال مرافقي: ستنزل هنا يا سيد ميلاس، وأعتذر لأنني سأتركك بعيداً عن منزلك إلى هذه الدرجة، ولكن لا يوجَد بديل آخر، فأية محاولة منك للحاق بالعربة ستنتهي بأن تؤذي نفسك.

ثم فتح الباب، ولم أكَد أنزل من العربة حتى انطلقت مبتعدة بعد أن ضرب الحوذي الحصان. نظرت حولي بدهشة، فقد كنت في نوع من المروج العامّة التي تتناثر فيها أشجار نبات شائك، وقد ظهر على البعد صف من المنازل مع ضوء متناثر هنا وهناك في النوافذ العليا، وفي الناحية الأخرى رأيت علامة الضوء الأحمر للسكك الحديدية.

كانت العربة التي أحضرتني قد اختفت، ووقفتُ أحدّق إلى ما حولي وأتساءل أين أكون! ثم رأيت شخصاً قادماً في الظلام باتجاهي، وحين اقترب مني عرفت أنه واحد من حمّالي السكك الحديدية فسألته: هل تستطيع إخباري ما هذا المكان؟

قال: هذه حديقة وندسْوُرث.

- هل يوجد قطار يأخذني إلى المدينة؟

قال: إذا مشيت ميلاً أو ما نحو ذلك حتى تصل

إلى تقاطع كلافام فسوف تتمكن من اللحاق بآخر قطار يتجه إلى محطة فكتوريا.

كانت تلك نهاية مغامرتي يا سيد هولمز، فأنا لا أعرف أين كنت ولا مع من تكلمت ولا أي شيء آخر إلا ما أخبرتك به، لكنني أعرف أن هناك لعبة قذرة تحدث، وأريد أن أساعد الرجل المسكين بقدر ما أستطيع. لقد أخبرت السيد مايكروفت بالقصة كاملة في صباح اليوم التالي، وبعد ذلك أخبرت الشرطة.

* * *

جلسنا جميعاً في صمت لوقت قصير بعد أن استمعنا إلى هذه القضية الغريبة، ونظر شيرلوك هولمز إلى أخيه ثم قال: هل قمتم بأية خطوات؟

التقط مايكروفت نسخة من صحيفة «ديلي نيوز» كانت على طاولة بجانبه وقال: لقد وضعنا هذا الإعلان في الصحف كلها، ولكن دون أي استجابة. كان الإعلان يقول: «مكافأة لمن يقدّم أية معلومات عن مكان سيد يوناني اسمه بول كراتيدس من أثينا، وهو لا يتكلم الإنكليزية. ومكافأة مماثلة لمن عنده أية معلومات عن سيدة يونانية اسمها الأول صوفي».

- ماذا عن المفوَّضية اليونانية؟

- لقد سألت هناك، وهم لا يعرفون شيئاً.

- هل بعثتم برقية إلى رئيس شرطة أثينا؟

التفت مايكروفت ناحيتي وقال: إن شيرلوك يمتلك طاقة العائلة كلها. حسناً، فلتتابع القضيّة يا شيرلوك بأية طريقة ممكنة، ثم أخبرني إذا توصلت إلى أي نتيجة.

أجاب صديقي وهو يقوم عن مقعده: بالتأكيد، سأخبرك أنت والسيد ميلاس بالتطورات، أما في الوقت الحالي فيجب أن تحترس يا سيد ميلاس، فلا شك أنهم عرفوا أنك قد خنتهم بسبب هذه الإعلانات.

* * *

مرّ هولمز بمكتب البريد ونحن في طريقنا إلى المنزل فأرسل عدة برقيات، ثم قال: أتدري يا واطسون؟ لم يذهب وقتنا سدى على أية حال، فبعض أكثر القضايا تشويقاً جاءني عن طريق مايكروفت، وهذه المشكلة التي استمعنا إليها قبل قليل لا تخلو من بعض الخصائص المتميزة، رغم

أنها ليس لها سوى تفسير واحد.

- هل عندك أمل في حلّها؟

- حسناً، سيكون غريباً أن نفشل في معرفة الحل مع كل ما نعرفه عن القضية، فلا بدّ أنك أنت نفسك قد كوّنت بعض الأفكار التي يمكن أن توضح الحقائق التي استمعنا إليها.

- أجل، بطريقة مبهَمة.

- ما فكرتك إذن؟

- يبدو أن هذه الفتاة اليونانية قد نُقلت عنوة بواسطة الشاب الإنكليزي هارولد لاتيمر.

- نُقلت من أين؟

- ربما من أثينا.

هزّ شيرلوك هولمز رأسه وقال: هذا الشاب لا يتكلم اليونانية مطلَقاً، أما السيدة فتتحدث الإنكليزية بشيء من الطلاقة، وهذا يدلنا على أنها أمضت بعض الوقت في إنكلترا، أما هو فلم يذهب إلى اليونان مطلَقاً.

- حسناً، لنفترض إذن أنها قد جاءت في زيارة

إلى إنكلترا فأقنعها هارولد هذا بأن تهرب معه.

- هذا أكثر احتمالاً.

- وعندئذ جاء الأخ (حيث أظنّ أن هذه هي العلاقة بينهما) ليتدخل فوضع نفسه بشكل أحمق تحت سيطرة الشاب وشريكه الأكبر سناً، فقد قبضا عليه واستخدما القوة معه ليوقّع على بعض الأوراق فينقل ثروة الفتاة (التي قد يكون وصيّاً عليها) إليهما، ويبدو أنه رفض أن يقوم بذلك، ولكي يتفاوضا معه كان عليهم الاستعانة بمترجم فاختارا هذا السيد ميلاس دون سابق ترتيب، حيث يبدو أنهم كان لديهم مترجم آخر من قبل، كما لم يتمّ إخبار الفتاة بوصول أخيها لتكتشف ذلك عن طريق المصادفة البحتة.

صاح هولمز: ممتاز يا واطسون، أظن أنك لم تبتعد عن الحقيقة، فكما ترى نحن نملك كل الأوراق ولا نخشى إلا أن يقوما بعمل عنيف من جانبهما، فلو أمهلانا بعض الوقت فسوف نقبض عليهما.

- ولكن كيف سنعرف مكان ذلك المنزل؟

- حسناً، إذا كان تخميننا صحيحاً واسم الفتاة

هو صوفي كراتيدس فلن نواجه صعوبة في اقتفاء أثرها، ويجب أن يكون ذلك هو هدفنا الرئيسي لأن الأخ غريب تماماً بالطبع، ومن الواضح أن بعض الوقت قد مضى منذ أنشأ ذلك الرجل هارولد علاقة مع الفتاة، بعض الأسابيع على أقل تقدير، وذلك لأن الأخ قد سمع بالأمر في اليونان ثم جاء إلى هنا، فلو أنهم كانوا يعيشون في المكان نفسه فسوف نحصل على ردّ على إعلان مايكروفت.

* * *

وصلنا إلى منزلنا في شارع بيكر في أثناء حديثنا، وصعد هولمز الدرج أولاً، وحين فتح باب غرفتنا جفل من الدهشة، وعندما نظرت من فوق كتفيه دُهشت بالدرجة نفسها؛ لقد كان أخوه مايكروفت جالساً على الكرسي!

قال بشكل عاديّ وهو يبتسم في وجهينا الدّهِشَين: ادخل يا شيرلوك، ادخل يا عزيزي الطبيب. أنت لا تتوقع هذا النشاط مني يا شيرلوك، أليس كذلك؟ ولكن هذه القضيّة تجذبني بشكل ما.

- كيف أتيت إلى هنا؟

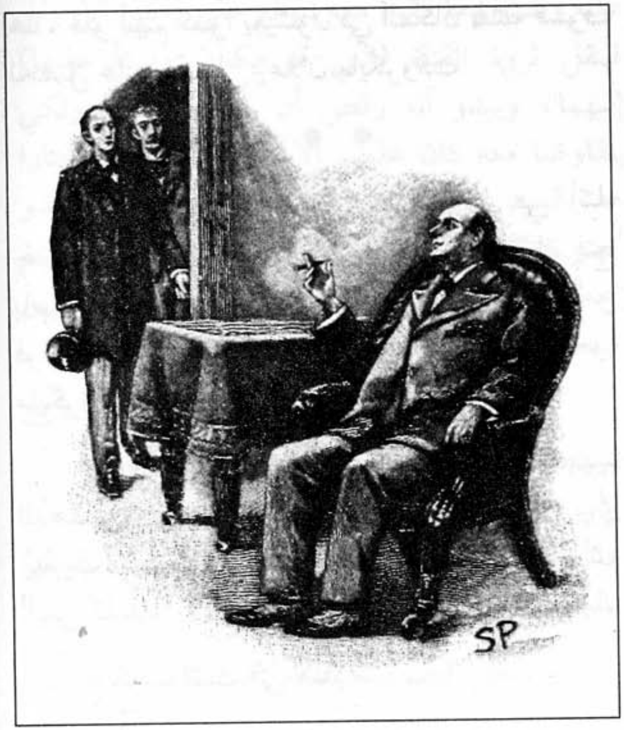
- لقد سبقتك بعربة.

- هل من تطورات جديدة؟

- وصلني ردّ على إعلاني.

- حقاً؟!

- نعم، لقد جاء بعد رحيلك بدقائق قليلة.



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

- وما النتيجة؟

أخرج مايكروفت هولمز ورقة وقال: ها هي، وقد كُتبت بقلم حبر على ورق أبيض بواسطة رجل في منتصف العمر له بنية ضعيفة، كتب: «سيدي، إجابة على إعلانك بتاريخ اليوم أحب إخبارك أنني أعرف الشابة المقصودة جيّداً، فلو رغبت في زيارتي فسأخبرك ببعض التفصيلات عن ماضيها المؤلم، وهي تعيش حالياً في بكنهام في بيت اسمه ميرْتلز. المخلص: ج. دافنبورت».

قال مايكروفت هولمز: إنه يكتب من بركستون. ألا تظنّ أنه يمكننا أن نذهب إليه الآن يا شيرلوك لنعرف هذه التفصيلات؟

- إن حياة الأخ أهمّ من قصة الأخت يا عزيزي مايكروفت. أعتقد أننا يجب أن نذهب إلى المفتش غريغسون في سكتلنديارد ثم نتجه إلى بكنهام مباشرة، فنحن نعرف أن الرجل معرَّض للموت، وقد تكون لكل ساعة أهميتها العظيمة.

قلت مقترحاً: من الأفضل أن نأخذ السيد ميلاس معنا، فقد نحتاج مترجماً.

قال شيرلوك هولمز: ممتاز؛ اطلب من البوّاب

إحضار عربة كبيرة وسنغادر على الفور.

فتح درج الطاولة وهو يتحدث، ولاحظت أنه قد أسقط في جيبه مسدّساً، ثم قال رداً على نظراتي: أستطيع القول -بناء على ما سمعناه- أننا نتعامل مع عصابة شديدة الخطر.

* * *

كان الظلام قد حل تقريباً قبل أن نصل إلى شارع بول مول، وهناك وجدنا أن السيد ميلاس قد اختفى من مسكنه بعد أن زاره سيد محترَم!

سأل مايكروفت هولمز: هل يمكنك إخباري أين؟

قالت السيدة التي فتحت الباب: لا أدري يا سيدي، أعرف فقط أنه انطلق في عربة مع سيد محترَم.

- هل ذكر السيد المحترَم اسمه؟

- لا يا سيدي.

- هل هو شاب طويل وسيم أسمر؟

- لا يا سيدي، بل هو رجل ضئيل يضع

نظّارات وله وجه نحيف، ولكنه مرح جداً حيث كان يضحك طوال الوقت الذي كان يتحدث فيه.

صاح هولمز بحدّة: أسرعوا، لقد أصبح الأمر خطيراً.

ثم علّق ونحن في طريقنا إلى إدارة سكتلنديارد: لقد قبض هذان الرجلان على ميلاس ثانية، وهو رجل لا يملك أية قوة بدنية كما يعرفون عنه من تجرِبتهم في تلك الليلة، فقد تمكّن هذا الشرير من بثّ الرعب فيه بمجرّد حضوره. لا شك أنهم يريدون خدماته في الترجمة، ولكن بعد أن يستغلّوه في ذلك سوف يوقعون به العقاب جزاءَ خيانته حسب اعتقادهم. إن أملنا هو أن نأخذ القطار فنصل بكنهام مع العربة أو قبلها.

ولكننا حين وصلنا إلى إدارة سكتلنديارد أضعنا أكثر من ساعة قبل أن نصل إلى المفتش غريغسون، ومن ثَم خضعنا للشكليات القانونية التي تمكّننا من دخول المنزل، حتى بلغت الساعة العاشرة إلا الربع قبل أن نصل إلى برج لندن، وكانت الساعة العاشرة والنصف حين نزلنا نحن الأربعة على رصيف بكنهام، ثم ركبنا عربة لمسافة نصف ميل لنصل إلى

ميرْتلز، وهو منزل واسع قاتم يقع بعيداً عن الطريق محاطاً بحدائقه الخاصة، وعند ذلك صرفنا العربة وصعدنا إلى المنزل معاً.

علّق المفتش قائلاً: النوافذ كلها مظلمة والمنزل يبدو مهجوراً.

قال هولمز: لقد طار العصفور والعشّ خالٍ.

- لماذا تقول ذلك؟

- لقد خرجت عربة محمَّلة بأمتعة ثقيلة خلال الساعة الماضية.

ضحك المفتش وقال: لقد رأيتَ آثار العجلات في ضوء مصباح البوابة، ولكن كيف عرفت بأمر الأمتعة؟

- ربما لاحظتَ وجود نفس آثار العجلات في الاتجاه الداخل، ولكنِ الآثار المتجهة إلى الخارج أعمقُ كثيراً إلى حدّ يمكّننا من قول إن في العربة وزناً كبيراً جداً بكل تأكيد.

قال المفتش وهو يهزّ كتفيه: لقد تغلبتْ عليّ في هذا. سيكون من الصعب خلع هذا الباب، ولكننا سنحاول ذلك إذا لم يسمعنا أحد.

دقّ مطرقة الباب بشدة ثم رنّ الجرس دون جدوى، وتسلّل هولمز مبتعداً ثم عاد بعد عدة دقائق وقال: لقد فتحت إحدى النوافذ.

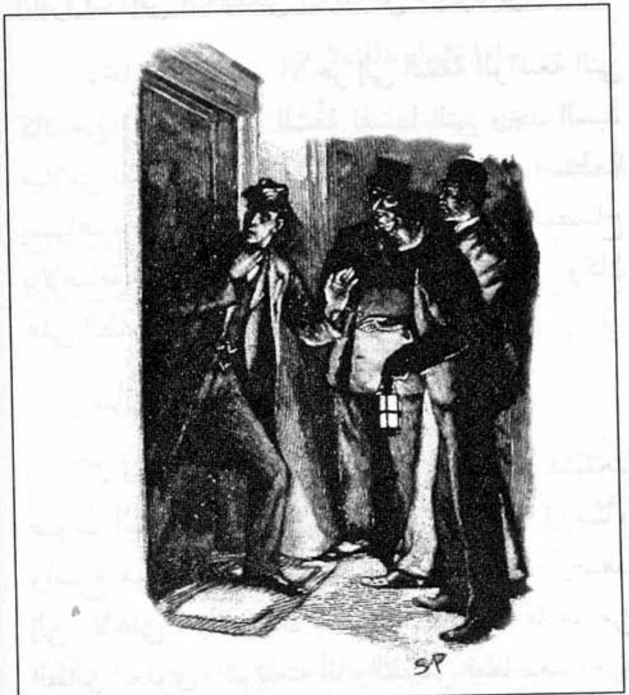
قال المفتش بعد أن لاحظ كيف تمكّن صديقي من خلع مزلاج النافذة بمهارة: حسناً، في هذه الظروف أظنّ أننا يمكن أن ندخل دون دعوة.

دخل أحدنا بعد الآخر إلى الشقّة الواسعة التي كان من الواضح أنها الشقّة نفسها التي وجد السيد ميلاس نفسه فيها. أضاء المفتّش مصباحه واستطعنا بمساعدة الضوء رؤية البابين والستارة والمصباح بالإضافة إلى الحُلّة اليابانية كما وُصفت تماماً، وكان على الطاولة كوبان بالإضافة إلى بقايا وجبة.

سأل هولمز فجأة: ما هذا؟

توقّفنا جميعاً عن الحركة وأنصتنا فسمعنا صوت أنين خافت يأتي من مكان ما فوق رؤوسنا، وأسرع هولمز إلى الباب ثم خرج إلى الصالة وصعد إلى الأعلى حيث كان الصوت الكئيب قادماً من الطابق العلوي، ثم تبعته أنا والمفتش فيما تبعَنا أخوه مايكروفت بأسرع ما يسمح به جسمه الضخم.

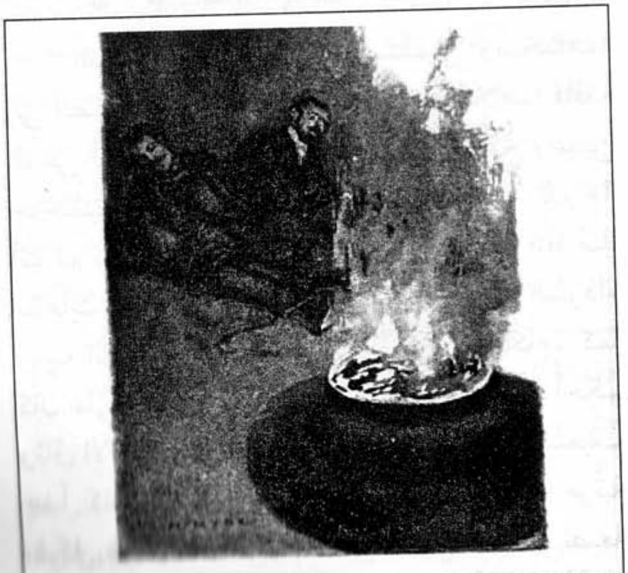
واجهَتنا ثلاثة أبواب في الطابق الثاني، وكانت الأصوات المنذرة بالشرّ تصدر من الغرفة الوسطى حيث تنخفض في بعض الأوقات لتصبح همهمة ضعيفة ثم يرتفع الأنين ثانية. كانت الغرفة مقفَلة ولكن المفتاح كان موجوداً في الباب من الخارج، ففتح هولمز الباب واندفع إلى داخل الغرفة، ولكنه



رسم سدني باجيت ١٨٩٣ Sydney Paget 1893

سرعان ما خرج ثانية وهو يمسك بحنجرته ثم صاح قائلاً: إنه فحم، انتظروا قليلاً وسيتبدد الدخان.

وحين اختلسنا النظر إلى داخل الغرفة استطعنا رؤية أن الضوء الوحيد الموجود في الغرفة جاء من شعلة زرقاء ضعيفة تومض في مرجل نحاسيّ ثلاثيّ القوائم في منتصف الغرفة، حيث ألقت بدائرة من الضوء الأزرق الغريب على الأرض، في حين رأينا في الظلّ طيفاً غير واضح لرجلين جاثمَين على الجدار!



رسم و هـ هايد ١٨٩٣ W. H. Hyde 1893

خرجَ من الغرفة عبر الباب المفتوح دخان سامّ رهيب جعلنا نلهث ونسعل، في حين اندفع هولمز إلى أعلى الدرَج ليستنشق هواء نقياً ثم أسرع إلى الغرفة ليفتح النافذة ويلقي بالمرجل النحاسي منها إلى الحديقة، ثم لهث قائلاً بعد أن خرج ثانية: سنستطيع الدخول في خلال دقيقة. أين الشمعة؟ أشكّ في أننا نستطيع إشعال الثقاب في هذا الجوّ، ولذلك أمسك بالضوء عند الباب يا مايكروفت وسنعمل نحن على إخراجهما... الآن!

اندفعنا نحو الرجلين المسمَّمَين وسحبناهما إلى الصالة ذات الإضاءة الجيّدة. كان كلاهما فاقداً الوعي أزرق الشفتين مع وجه محتقن منتفخ وعينين جاحظتين، وكانت ملامحهما مشوَّهة جداً لدرجة أننا لم نكن لنتعرف على المترجم الذي فارقناه منذ ساعات قليلة في نادي ديوجينز لولا لحيته السوداء وبنيته القوية. وقد تمّ ربط قدميه ويديه بإحكام، كما كان على إحدى عينيه آثار ضرب عنيف. وقد أُحكِم وثاق الآخر بنفس الطريقة، وهو رجل طويل ضعيف جداً كانت على وجهه عدّة أشرطة لاصقة مرتَّبة بشكل غريب، وقد توقّف عن الأنين فيما كنا نضعه على الأرض. وحين نظرت إليه عرفت أننا قد تأخّرنا

في مساعدته، أما السيد ميلاس فقد عاش، وبعد أقل من ساعة وبمساعدة النشادر شعرت بالرضا حين رأيته يفتح عينيه وعرفت أنني قد أنقذته.

وقد كانت القصّة التي أخبرنا بها بسيطة كما أنها أكّدت استنتاجاتنا، فقد شعر برعب شديد حين دخل زائره إلى مسكنه وسحب مسدّساً من كمّه وهدّده بالموت الفوري المؤكَّد، وبذلك تمكن من اختطافه للمرة الثانية، وكان تأثير ذلك الشرير الضاحك على المترجم التعِس يشبه التنويم المغنطيسي، فلم يكن ليستطيع الكلام عنه دون أن ترتعش يداه ويشحب وجهه، وقد أخذوه بسرعة شديدة في المقابلة الثانية التي كانت أكثر إثارة من الأولى، حيث هدّد الرجلان سجينَهما بالموت الفوري ما لم يذعن إلى مطالبهما، وأخيراً حين وجداه صامداً أمام كل التهديدات أعاداه إلى سجنه، وبعد ذلك قاما بتوبيخ ميلاس بسبب خيانته التي ظهرت في إعلان الصحف، ثم أفقداه الوعي بضربة عصا، ولا يتذكر شيئاً بعد ذلك حتى وجدَنا ننحني فوقه.

كانت تلك هي القضية الغريبة للمترجم اليوناني، وما يزال تفسيرها يشوبه بعض الغموض، وإن كنا قد تمكنّا -عن طريق السيد المحترَم الذي

ردّ على الإعلان- من معرفة أن هذه السيدة التعِسة الحظّ من عائلة يونانية ثريّة، وأنها كانت في زيارة لبعض الأصدقاء في إنكلترا حين قابلت شاباً يُدعى هارولد لاتيمر، وقد سيطر عليها وأقنعها بالهروب معه، فذهل أصدقاؤها مما حدث وقاموا بإبلاغ شقيقها في أثينا، ثم نفضوا أيديهم من الموضوع.

أمّا الأخ فحين وصل إلى إنكلترا وضع نفسه بحماقة في قبضة لاتيمر وشريكه الذي يُدعى ويلسون كيمب، حيث أصبح عاجزاً بين أيديهم بسبب جهله باللغة، وقد احتفظا به سجيناً وحاولا أن يجبراه على التنازل عن ممتلكاته هو وأخته عن طريق القسوة والتجويع، وقد قاما بسجنه في المنزل دون علم الفتاة، ولذلك وضعا الشريط اللاصق على وجهه لإخفاء ملامحه حتى لا تتعرف عليه في حال لمحَته مصادفة، وإن كانت غريزتها الأنثوية قد استدلّت عليه في الحال رغم التمويه عندما رأته للمرة الأولى وقت زيارة المترجم. وقد كانت الفتاة المسكينة نفسها سجينة، حيث لم يكن في المنزل أحدٌ سوى الرجل الذي يعمل حوذيّاً وزوجته، وهما أداتان في أيدي المجرمَين. وحين عرف الشريران أن سرّهما قد انكشف وأن سجينهما لن يذعن لهما هربا

مع الفتاة من المنزل المفروش الذي كانا يستأجرانه، وكان ذلك قبل وصولنا بساعات قليلة، بعد أن قاما أولاً -حسب اعتقادهما- بالثأر من الرجل الذي تحدّاهما والآخر الذي خانهما.

بعد ذلك بعدة شهور وصلتنا قصاصة مثيرة للفضول من إحدى صحف مدينة بودابست تنصّ على أن رجلين إنكليزيين كانا يسافران برفقة امرأة قد لقيا حتفهما بطريقة مأساوية، ويبدو أن كليهما قد طُعن، وترى الشرطة المجرية أنهما كانا يتعاركان فأصاب كل منهما الآخر بجراح مميتة.

أمّا هولمز فله طريقة مختلفة في التفكير كما أظن، فهو يصرّ حتى هذا اليوم على أن الفتاة اليونانية هي وحدها التي تعرف كيف تمّ الانتقام ممّن أجرم في حقها وحق أخيها.

* * *

-تمت-

22



مغامرات
شيرلوك هولمز
تأليف: آرثر كونان دويل

The Adventures of
Sherlock Holmes



The Adventure of
the Greek Interpreter

الأجيال
للترجمة والنشر
AJYAL Publishers

ISBN 2-1957-3385-2
9782195733854